جامعة الانبار

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ / الدراسات العليا

الدراسات العليا الماجستير /

أ.م.د يوسف سامي فرحان

ظهور المعارضة وبدايات الاصلاح في الدولة العثمانية

واثرها على المشرق العربي

ظهور المعارضة :-

قام السلطان سليم الثالث بعدة اصلاحات لإنقاذ الدولة من الاطماع الاستعمارية والضغوط الاوربية ، خاصة الاصلاحات العسكرية التي نظر لها الانكشارية نظرة ارتياب خشية ان تكون مقدمة لإلغاء فرقتهم ، كما سخط الاعيان الذين خشوا ان يحرموا من رجالهم الاكفاء ،وان يشتد ساعد الجيش الجديد بحيث يستطيع الحد من نفوذهم ،واستنكر العلماء الاقتباس من الغرب معتقدين ان ذلك مخالف للشرع ، وحدد هؤلاء القاعدة التي ترتكز عليها سلطتهم ، اذ بدون القيادة الانكشارية للجيش لم يكن بإمكانهم فرض وجهات نظريتهم ، وكان واضحا ان الجيش الجديد كان يعني الالغاء المستقبلي للانكشارية ،ونجح المعارضون في حملة على الغاء النظام الجديد ثم تمادوا فعزلوهم من منصبه ونصبو مكانه مصطفى الرابع ، كما عمدوا الى اغتيال كبار رجال الدولة الذين ايدوا النظام الجديد، ولم يبد السلطان مصطفى الرابع قدرا من قوة الشخصية فأستسلم لمطالب الاوساط المحافظة وغدا العوبة بأيديهم .

واكتسب النظام الجديد انصارا اقوياء في بعض الولايات فأستنكر هؤلاء على عزل السلطان سليم الثالث فانقسمت البلاد بين مؤيد للنظام الجديد وبين معارض له وعندما علم السلطان مصطفى الرابع بهذه التطورات خشي على نفسه ان يصيبهما اصاب سلفه فانقلب على الانكشارية وانصارهم ،وامر

بعزل شيخ الاسلام عبد الله افندي وسرح جنود قباقجي اوغلي ، لكن مصطفى البيرا قدار اصر الى اعادة السلطان سليم الثالث الى العرش ،والقى القبض على الصدر الاعظم مصطفى شلبي ،فما كان من السلطان مصطفى الرابع الا ان امر بقتل سليم الثالث والقى جثته امام الثائرين كي يكفوا عن الثورة لكن حادثة القتل ادت الى نتائج عكسية حيث ازداد الثائرين هياجا واقدموا على عزل السلطان وتعيين اخيه محمود مكانه ، وقد استطاع السلطان محمود عن طريق تدريب وتجهيز الجيش الجديد بمساعدة مدربين مصريين ان يقضي على جيش الانكشارية حيث قتل منهم حوالي (٤٠الف جندي) في العاصمة وقضى عليهم في بقية الاقاليم وكان ذلك في عام (١٨٢٦هـ)، وتمثل محاولة الاصلاح هذه مرحلة هامة في تاريخ الدولة العثمانية ، كما تمثل بداية التحرك من جديد والرغبة في السير والتطور.

لقد ادى القضاء على الانكشارية تجديد الجيش وقطع علاقته بالعلماء والتغير في نظم التعليم وانشاء التعليم العسكري والمدني والفصل بين المجلس التشريعي والقانوني الى تبلور المعارضة الدينية والانعزال بين الدين والمجتمع ولم يكن لهذه المعارضة تأثير بسبب تزايد الضغوط الخارجية واجتياح السلطان العثماني للمساندة الاوروبية وظهر نمطا جديدا من المعارضة تبع من الصفوة المثقفة والبيروقراطية الجديدة التي ظهرت كقوة اجتماعية التي كانت نتيجة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية في التعليم والانفتاح على الغرب ولم تكن هذه المعارضة ضد التنظيمات الجديدة بقدر ما كانت موجهة الى جوهرة النظام العثماني وخاصة انفراد السلطان بالسلطة الذي اهتم بالإصلاحات لتدعيم سلطته وزيادة مركزيتها، اذ كانت اهم اهداف المعارضة هي اتعاد التأثير الاوروبي السلبي على العملية الاصلاحية الذي سبب المشاكل للدولة العثمانية في الناحية الاجتماعية والاقتصادية من اجل تحقيق مصالحهم كما ان المعارضة ارادت ان تؤكد ان النقل من الغرب والاخذ عنه ليس فيه قيمة ايجابية بصورة مطلقة ودائمة خاصة اذا تم تحت تأثير خارجي ، اذ ان الدولة العثمانية اخذت عن الغرب في المجال العسكري ، مقابل الكثير من الامتيازات للدولة الاوروبية.

حركة الاصلاح العثماني وانعكاساتها في الاقطار العربية :-

شهدت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن الثامن عشر محاولات عديدة لإصلاح نظامها ومؤسساتها الادارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وفق الاساليب والاسس الغربية الحديثة وكان لتلك الاصلاحات تأثيرها وانعكاسها في الوطن العربي ،وكانت المعالم الرئيسية لحركة الاصلاح والتجديد العثمانية تدور حول نقاط ثلاث هامة:-

١- الاقتباس من الغرب فيما يتعلق بتنظيم الجيش وتسليمه في نظم الحكم والادارة .

٢- الاتجاه بالمجتمع العثماني نحو التشكيل العلماني .

٣- الاتجاه نحو مركزية السلطة في استنبول والولايات.

استندت حركة الاصلاح والتجديد او حركة التنظيمات الى مرسومين سلطانيين اساسيين كان لهما الفضل في انقاذ الدولة العثمانية من ازمة التي تعرضت لها بعد ان اشتد بها الضعف وتوقع الكثيرون هلاكها وزوالها ،وصدر المرسوم الاول في بداية عهد السلطان عبدالمجيد في (٣ تشرين الثاني ١٨٣٩م)، وصدر المرسوم الثاني في (١٨ شباط عام ١٨٥٦).

١- مرسوم كلخانة :- صدر في شكل خط شريف هما يوفي وقرئ في حفل رسمي كبير في قصر الكلخانة فعرف ذلك بمنشور الكلخانة، كان هذا المنشور اول عهد دستوري في تاريخ الدولة العثمانية وضع قواعد الاصلاح على المبادئ الاوربية ،من حيث انه كفل تأمين شعوب الامبراطورية على ارواحهم واموالهم واعراضهم مهما تنوعت دياناتهم وجنسياتهم ، كما قرر نظما جديدة للخدمة العسكرية (التجنيد) وتحديد مدتها بخمس سنوات ، وانشأ إدارة مركزية قوية يكون لها اشراف وثيق على الادارات الاقليمية ولا شك ان التعهد بإعطاء اهل الذمة من رعايا الدولة نفس الحقوق التي كانت للمسلمين كان ثورة خطيرة من حيث إن هذا المبدأ قد كفل لأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية المساواة امام القانون بين المسلمين والذميين في الدولة ، وان استصدار خط شريف كلخانة كان الثمن الذي حصلت عليه بريطانيا والدول الاوربية من السلطان العثماني في مقابل تسوية النزاع بينه وبين محمد علي باشا الذي كان يريد الاستغلال والانفصال عن الدولة اثناء ازمة العلاقات المصرية العثمانية وهي تسوية تقوم على اساس المحافظة على كيان الدولة العثمانية ، ويعتبر مصطفى رشيد باشا المهندس الحقيقي لمنشور كلخانة والذي عرف بسعة اطلاعه واجادته اللغة الفرنسية ، وهكذا ادى

صدور خط شريف كلخانة الى ردود فعل قوية خاصة بين المسلمين حيث اعتبروا ان المرسوم مناف للقران ، وان مساواة المسلمين والنصارى من شأنها ان تثير القلاقل بين رعايا السلطان وقد قامت تمردات وقضى السلطان عليها.

٢ - خط شريف همايون :-

صدر هذا المرسوم بعد حرب القرم التي بدأتها روسيا للقضاء على الدولة العثمانية وقد وجدت بريطانيا ان سلامة امبراطوريتها في الهند مرتبطة بسلامة الدولة العثمانية فانحازت الى جانب تركيا ومعها فرنسا في هذه الحرب ضد روسيا ، وكان الثمن الذي حصلت عليه بريطانيا هو استصدار خط شريف هما يوني وهو الخط الذي عرف "بمنشور التنظيمات الخيرية" ، وكان اكثر دقة في تحديد التغيرات الواجب اجراؤها وان صيغته كانت اكثر عصرية واكثر اقتباسا من الغرب ***وقد تضمن ما يلي :-***

١- الغاء نظام الالتزام والقضاء على الرشوة والفساد.

٢- المساواة في التجنيد بين المسلمين وغير المسلمين .

٣- معاملة الجميع معاملة متساوية مهما كان اديانهم ومذاهبهم .

٤- المحفظة على الحقوق والامتيازات التي تمتع بها رؤساء الملل غير الاسلامية .

٥-القضاء على حواجز نظام الملل ليتمتع كل مواطني الامبراطورية بمواطنة عثمانية متساوية .

٦- ان تصبح المسائل المدنية الخاصة بالرعاية المسيحين من اختصاص مجلس مختلط من الاهالي ورجال الدين المسيحي يقوم الشعب بانتخابه بنفسه ،

٧-فتحت معاهد التعليم امام المسيحين لتفتح امامهم وظائف الدولة.

٨- السماح الاجانب بامتلاك الاراضي في الدولة كما وعد السلطان بالاستعانة برأس المال والخيرات الاوربية بهدف تطوير اقتصاد الدولة .كان من نتائج خط همايوني انعقاد مؤتمر صلح في باريس وافقت عليه الدول الاوربية في عام(١٨٥٦) بحيث تضمنت بنوده احترام املاك الدولة العثمانية واستقلالها وبعدم تدخل الدول الاوربية بشؤونها الداخلية .

وقد كان للإصلاحات في الدولة العثمانية تأثيرات واسعة على الوطن العربي :-

١-اقامة نظام تعليمي في عام(١٨٦٩) بقانون ،قسمت فيه المدارس الى عمومة وخصوصية ، وجعل التعليم مجانيا واجباريا لمدة اربع سنوات وهي المدارس الاولية ،ثم تليها مرحلة الدراسات الرشدية اربع سنوات اخرى، ثم قسم التعليم الى مرحلتين سفلى "اعدادية"، وعليا "سلطانية" ،وقد انتشرت في البلاد العربية انتشارا غير متساوٍ ، حسب اهمية وقرب المنطقة من المركز او وجود المدارس التبشيرية فيها.

٢- كان التقدم الاقتصادي بطيئا بسبب عدم تطبيق القوانين الحديثة بدقة كما ان الاستيلاء على الاقطاع لم يكن شاملا ، بحيث صدر في عام (١٨٥٨م) قانون الاراضي الذي امر حق الملكية مما ادى الى ظهور الملكيات الزراعية وخاصة في سوريا والعراق .

٣- ازدياد الواردات الاجنبية التي استفادت من قلة الرسوم الجمركية مما الحق اضرارا بالحرف المحلية .

٤- اعادة تنظيم الولايات وقيام مجالس استشارية فيها ، كان القصد منها اشراك السكان في بحث المسائل الخاصة بولايتهم ، وقيام ما يشبه النظام اللامركزي مما ساعد على انصهار الطوائف السورية في شعب واحد .

٥- نمو الطبقة الوسطى المستنيرة التي اخذت تدعوا الى الحرية .

٦- من خلال الحقوق التي نالتها الطوائف الدينية استطاعت الدول الاوربية استغلال ذلك عن طريق البعثات التبشيرية وفتح المدارس الخاصة ،والتي كان هدفها استعماريا مع انها افادت ثقافيا عن طريق احياء الادب العربي وتعليم اللغة العربية .

٧- انتشار الصحف مما اثار يقظة فكرية ، وظهور منتقدين للسياسة التركية ، وقد ادى ظهور المطابع الى انتشار الكتب المطبوعة وزيادة الصحف والدوريات العربية وبالتالي زيادة عدد المثقفين وانتشار الافكار الجديدة الخاصة بالأمة والحكومة والتقدم مما ساعد على مقاومة السلطة عن طريق اعلان الدستور

المصادر :-

١- محمد سهيل طقوش ،تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، دار النفائس ، ص٤٩٧ .

٢- هيلين روز ايبو ،حركة الفتح ،ط١(تنوير للنشر ،القاهرة ،٢٠١٥م)، ص٣٤.

٣- محمد سهيل طقوش ،المصدر السابق،ص٤٩٨-٤٩٩ .

٤-عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ،القاهرة ،١٩٨٠ ،ص٧٠ .

٥- اسماعيل احمد باغي ،الدولة العثمانية في تاريخ الاسلامي الحديث ، (مكتبة العبيكان ،الرياض، ١٩٩٦)،ص١٥٣ .

٦- اسماعيل احمد ، المصدر السابق، ص ١٥٥ .

٧- جميل بيضون ، تاريخ العرب الحديث ،(دار الامل للنشر ،١٩٩١)، ص١٤١.

٨ -جميل بيضون ، المصدر السابق، ص١٤٢.